

الداي حسين واحتلال الجزائر 1830 مقاربة جديدة من خلال الكتابات التاريخية الجزائرية

A new approach through writings 1830 the case of dey Hussein and the occupation of Algeria

المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ/ الجزائر	التاريخ المعاصر	وادة يسرى – طالبة دكتوراه 1
المركز الجامعي مرسلبي عبد الله، تيبازة، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ/ الجزائر	تاريخ حديث ومعاصر	ودود محمد – أستاذ التعليم العالي mouddoua@gmail.com
DOI :		

الإرسال: 2024/10/10 القبول: 2024/12/15 النشر: 2024/12/20

ملخص:

امتازت الكتابة التاريخية الجزائرية إلى غاية المنتصف الأول من القرن 18م، بالجمود والركود في الطرح والمنهج، وارتكزت الاهتمامات في هذه الفترة على العلوم النقلية لا العقلية بما فيها التاريخ، ويعود هذا التراجع وهذا الاهمال للأوضاع التي كانت تعيشها الامة العربية بصورة عامة مشرقا ومغربا ومنها الجزائر، وبقاها على ما كانت عليه قبل مجيئ العثمانيين، وهذا لطبيعة الإدارة العثمانية، بحكم أن هذه الأخيرة عملت على الحفاظ على هذا الوضع تدعيما للعقيدة الإسلامية (العلوم الشرعية). كما يعود هذا التراجع إلى غياب العناية بالتاريخ خلال الفترة العثمانية، وعدم اهتمام العثماني به والتركيز على الجانب العسكري، وتشجيع الطرق الصوفية، وعدم إعطاء أهمية كبيرة للجانب العلمي والعلماء، وان وجد الاهتمام فقد صيغ بطريقة شرعية ايديولوجية لتبرز نفوذها على المجتمع. كلمات مفتاحية: الداي حسين، الوعي التاريخي، الكتابة التاريخية، المعرفة التاريخية، الجزائر.

Abstract:

At the beginning of the nineteenth century (19 AD), Algeria was exposed to the ugliest and most brutal forms of colonialism that targeted everything related to it, and its clear efforts were evident in obliterating and diminishing the Algerian personality, identity, and history through a broad campaign whose primary goal was to distort Algerian history and create a rift between this people and everything related to his identity and history.

Keywords: dey Hussein; historical awareness; historical writings; historical knowledge; Algeria.

مقدمة:

شهدت الجزائر على إمتداد مراحلها التاريخية حركة تدوين واسعة عبرت خلالها عن أهم الأحداث التي عرفها التاريخ الجزائري وعن توجهات أصحابها ثقافتهم ، إلا أنه وبتعرضها للإستعمار الفرنسي التي طالت يده تشويه الحقائق التاريخية وجعل التاريخ ليبرر الفعل الاستعماري بإستخدام أسباب و ذرائع واهية، وتزامن ذلك مع التطور الذي تشهده أوروبا عامة وفرنسا خاصة منها الإنقلاب الصناعي، الذي سرع التكالب الأوروبي على ممتلكات الدولة العثمانية التي تشهد ضعفا سياسيا وتراجعا عسكريا.

وسنحاول من خلال موضوعنا تسليط الضوء على جانب تناولته الكثير من الكتابات التاريخية وهو احتلال الجزائر الذي مثل العدوان على الكيان الجزائري، وشخصية الداوي حسين من خلال كتابات عاصرت الحدث، وأخرى تناولته من جانب الوضع الذي آلت اليه الجزائر والعالم الاسلامي.

وعليه فإن الاشكالية الرئيسية تتمحور حول كيف تناولت الكتابات التاريخية هذه المرحلة من حيث الحدث والمتمثل في الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ ومن حيث العدوان الذي مارسه فرنسا على الشعب الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى مقاومة هذا الأخير؟

1. العدوان الفرنسي على الجزائر من خلال الكتابات التاريخية:

تثبت الحقائق التاريخية أن النوايا الاستعمارية لاحتلال الجزائر تعود الى القرن 13م، وينسب ذلك لملك فرنسا لويس التاسع الذي قام بحملة صليبية على تونس 1270م (المزاري، 1990، صفحة 52، ج2)، وقد قصد بها الجزائر إلا أن الموت داهمته دون تحقيق حلمه. لتتجدد الفكرة مع ملك فرنسا شارل العاشر ومعركة ليبانت البحرية 9 أكتوبر 1571، التي ألحقت أضرارا بالأسطول الجزائري . (نايت بلقاسم، 2007، صفحة 74، ج1). إلا نعود ونؤكد أن الوضع الذي سيعجل في الطموح الفرنسي وجراته هو التطور الصناعي الذي تشهده أوروبا من ناحية ، وضعف العالم الاسلامي من ناحية أخرى (الحفناوي، 2012، صفحة 32).

وبإعتبار أن للجزائر موقع استراتيجي مهم من الناحية العسكرية فقد كان لقيادة فرنسا وتجارتها الأسبقية في تعويض مكان اسبانيا، بعد تحرير المرسى الكبير في شمال

إفريقيا والسيطرة على البحر المتوسط كممر تجاري هام. (بوعزيز، 1965، صفحة 165، ج1).

وسيوصل نابليون بونابرت المشروع الفرنسي، إذ أمر وزير البحرية أن يعد لغزو الجزائر برا وبحرا، و يرسل أحد جنوده سرا ليتجسس ويكون تقريراً مفصلاً وخطة واضحة، وكلف بالمهمة الضابط بوتان من 24 ماي إلى 17 جويلية 1808 بالجزائر، وظل هناك يتجسس على الحصون دارساً خطة النزول بدقة منتقلاً بين برج البحري شرقاً إلى سيدي فرج غرباً، وقد وفر له القنصل العام في الجزائر كل التسهيلات والمساعدات، وانتهت مهمته بتقديمه تقريراً كتابياً مفصلاً عن الجزائر داعماً إياه بخرائط دقيقة (هلال، 1995، الصفحات 36-43).

ونضيف أطماع فرنسا التوسعية التي ستخدم جميع مصالحها الاقتصادية والدينية والحضارية، جعلت علاقاتها بالجزائر تتوتر وتتطور لتصبح مواجهات عسكرية وقطعا للعلاقة بينهما. ومازاد من تعجيل الاحتلال المنافسة الأوروبية الاستعمارية من قبل بريطانيا- روسيا- بروسيا ، إضافة إلى إعادة الاعتبار لسمعتها العسكرية المفقودة وكله يتحقق بالجزائر وقد بذلك صرح نائب البرلمان الفرنسي لويس بلانكي Louis Auguste Blanqui: «...إنه من المستحيل أن نتخلى عن الجزائر الأرض التي سقيناها بدمائنا ... امتلكنّا أكثر من 800 كيل (أي كلم) من السواحل القريبة من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا واليونان وغير بعيد جبل طارق ومالطة...» (بفاير، 2009، الصفحات 250-253).

إلا أن الدوافع الاقتصادية الأهم على الإطلاق، لتحمس التجار الفرنسيين لفكرة الاحتلال و الاستيلاء على الأراضي الخصبة بها، إضافة إلى التخلص من تسديد ديونها المتبقية، وتتلخص قضية الديون في العلاقة المشبوهة التي كانت تربط اليهوديان بكري وبوشناق بالقنصل دوفال. ونضيف تطرق الكتابات فكرة التخلص من فائض السكان المستمر بسبب تحسن ظروف الصحة والحياة بعد التطور الاقتصادي الناتج عن الثورة الصناعية بشكل عام (الطبيي، 2009، الصفحات 135-136).

2. الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال الكتابات التاريخية الجزائرية: أ- مظاهر فشل معركة اسطه والي:

تناولت الكتابات التاريخية الجزائرية الحملة الفرنسية على الجزائر، التي سبقها حصار بحري دام من 16 جوان 1827 إلى 14 جوان 1830، وحادثة المروحة التي كانت الحجة، وذلك بعد استفزاز من القنصل دوفال في نقاش كان صبيحة عيد الفطر وذلك بتسائل الداوي عن سبب تماطل الحكومة الفرنسية للرد على رسالته لتسوية الديون العالقة والمقدرة بـ300 مليون فرنك ذهبي (حماش، د.ت، صفحة 9).

فكان رد دوفال بطريقة غير محترمة تجاوز فيها شخص الداوي والأعراف الدبلوماسية، وهو ما أثار حفيظة الداوي، فكان رد فعله بلطمه بالمروحة، وأمره بالخروج من مجلسه الذي حضره مجموعة من الأعيان، وبعض قناصل الدول الأجنبية المعتمدين في الجزائر، وتطور الحادث إلى حصار ولا يرفع إلا باعتذار الداوي وقبول شروط فرنسا المذلة (d Angeville, 1838, p. 20).

ويرجع حمدان بن عثمان خوجة فشل المعركة في مواجهة الحملة الفرنسية، إلى غياب الكفاءة العامة للجيش ممثلة في إبراهيم آغا ونسب له الفشل الذي لحق بالمعركة، فقال عنه خوجة «... لم يحظ بالكفاءة تؤهله ليصبح قائدا عاما، فلا يفقه فنون الحرب وحيلها...» وقال عنه في موضع آخر «... رغم حصوله على الخريطة الموضحة لمكان نزول الفرنسيين إلا أنها لم يعمل بها...» (بن عثمان، د.ت، صفحة 157).

وأضاف الزهار هذا الوصف «... بأنه مثله مثل الحمار، لا يعرف إلا الأكل والنكاح، وقله كفاءته، كانت سبب الهزيمة...» (الزهار، 1980، صفحة 168).

ومن ناحية أخرى يضيف استبعاد القبائل المجهزة للقتال بمسافة قدرها حسب حمدان خوجة «...مده أسبوع بالنسبة لبعضهم البعض، وقد استقدمهم للمعركة و سكان متيجة لا يعرفون سوى بيع الحليب...»، وبالتالي فتفسير خوجة حول غياب الدقة لمواجهة الحملة الفرنسية فوضح أن سكان متيجة غلب عليهم طابع التجارة والفلاحة، وما عرف عن قبائل العرب وزواوة فهم متمرسون على القتال (بن عثمان، د.ت، صفحة 157).

ونضيف التفوق العسكري للجيش الفرنسي حيث يذكر الزهار «... أن الباشا نفسه ظن أن هذا القتال مثل قتال الرعية، وإلا فكيف يقابل جيشا قويا كجيش الفرنسيين من غير عدة وعتاد...» (الزهار، 1980، صفحة 170)، ويضيف قائلا: «...أن أحمد باي لما

نزل إلى ضواحي سيدي فرج وشاهد الجيش الفرنسي فانه كتب للبasha يخبره بالعودة للشرق
فاذن له وجعت المحلة....» (الزهار، 1980، صفحة 172).

أضافة الى عدم اعتماد ابراهيم آغا الاقتراحات التي قدمت من بعض المساعدين
للتخطيط للمعركة، كإقتراح أحمد باي بعدم جمع القوات الجزائرية في مكان واحد
وتوزيعها لتمكن من المناورة في الرد على الفرنسيين. الا أن جواب ابراهيم آغا عليه كانت:
«...أنت لا تعرف الحيل الحربية للأوروبيين فهي مخالفة تماما لحيل العرب...». ما جعل
أحمد باي الانسحاب الى إقليمه وعدم تقديم أي اقتراح (حماش، د.ت، صفحة 11).

وهو أكداه أحمد باي في مذكراته: «...أنه وبوصوله الى العاصمة في رحلة الدنوش
أخبره الداى حسين إثر وصوله بالتوجه الى هناك على رأس محلته لمقابلة الفرنسيين برفقة
ابراهيم آغا الذي عينه حسين باشا قائدا عاما للجيش الجزائري» (باي، د.ت، صفحة
11).

وبذلك فان الرؤية التي قدمها أحمد باي وربطها بإبراهيم آغا، ماهي إلا مظاهر
ضعف أمام الطرف الفرنسي. وأيضا من ناحية أخرى دقة الحس العسكري والرؤية لأحمد
باي، الذي لاحظ ضعف الجيش الجزائري وقوة الجيش الفرنسي، وأيضا قلة الخبرة
العسكرية لابراهيم آغا في ميدان المعركة. وهنا نتساءل عن تغير الموقف الفرنسي بين
الماضي واليوم والتاريخ يسجل كثير من الاحداث التي تثبت الضعف الفرنسي، ونجد أن
فرنسا اسغلت فرصة تراجع أوضاع الجزائر، بعد دراسة معمقة لأوضاع الجزائر التي
تميزت بالتراجع من ناحية، والتعامل مع الوضع كأنها حرب عادية، ووضعها الداخلي
المتمثل في تدمير الأهالي وسخطهم من بطش الأتراك وظلمهم حال من الانضمام الى صفوف
المسلمين وبالتالي التعجيل بسقوط الحكم؟

كلها ظروف سهلت نجاح الحملة الفرنسية، وتراجع دور الجزائر والوقوع تحت
سيطرة الاستعمار.

ويفسر خليفة حماش فشل معركة أسطه والي، الى إختلال توازن القوة العسكرية
بين الجانبين، ولا ينسب فشلها إلى القيادة العسكرية. وقد ذكرها حمدان خوجة ونسبها إلى

صهر الداوي ابراهيم آغا، مايجعلنا نرى مفهومه للحرب أنها حركات يقوم بها الجنود في ميدانهم تجاوبا مع أوامر القيادة. (حماش، د.ت، صفحة 07).

إلا أنه بالمقارنة بين الجيشين، فقد تفوق الجيش الفرنسي بالقوة العسكرية ومادور القيادة العامة، إلا واحدة من الأفعال التي يتحرك خلالها وليست أساسها، وتفسير حمدان خوجة للمعركة يؤكد غياب خبرته العسكرية.

وقد أكدت على ذلك الكتابات الجزائرية التي سلطت الضوء على جوانب الضعف التي ميزت الجيش والسلطة الجزائرية. والوضع الذي كان يعيشه العالم الاسلامي بصفة عامة ويدقق الزهار تعامل الجيش انه متهورا وغير ممنهج. ويضيف: «...أنه في الجهاد قوم مثل الهائم ظهر لهم أن ذلك القتال هو كقتال بعضهم لبعض، قتال الحماية الجاهلية وقد ذكروا به الألفوف لأنهم لا يعرفون مقدار الألف، فطنوا الماية هي الألف، والباشا نفسه ظن أن القتال مثل قتال الرعية، والا كيف يقابل جنسا قويا كجنس الفرنسيين من غير عدة ولا عدد...» (الزهار، 1980، صفحة 168).

وافتقدت الفرق العسكرية الجزائرية لفريق طبي مرافق للمعركة، بل إلى أبعد من ذلك وهو غياب وسائل التطبيب وتحمل مسؤولية ذلك الحلاقين، إذ لم تتوفر الحملة الجزائرية على طبيب وأن من يقوم بالعلاج الحلاقون من دون دراية لأصول الطب (حماش، د.ت، الصفحات 12-13).

أيضا وضح حماش مجال المقارنة بين في المدارس العسكرية بين التعليم العسكري المتطور وهذا لم يكن في العالم الاسلامي فتثبت الوثائق التاريخية أن الجزائر دولة التي تفتقد الى البنية العلمية والتقنية. ما يؤكد لنا الجهل الذي عم الجيش وقائد المعركة ، رغم استخدام الداوي حسين الجوسسة، وعلى إطلاع بتحضيرات الفرنسيين وتعامل معه بشكل عادي (حماش، د.ت، الصفحات 12-13).

وحتى وإن ذكرت بعض المحاولات من الدولة العثمانية تمت عن طريق الصدفة أكثر منها عن طريق التخطيط وبإمكانات محدودة كثيرا، وحتى وإن كانت محاولات، فإنها على يد ضباط عسكريين أوروبيين وليسوا عثمانيين ،وأحدثت هذه الآله الفرق في أوروبا منذ

اختراعها في عام 1452، كما سبق الإشارة ثورة كبرى في عالم الكتاب الذي يعتبر أهم وسيلة لنشر المعرفة والعلم بين أفراد المجتمع (حماش، د.ت، صفحة 45).

وهنا نجد المقارنة التي طرحها خليفة حماش بين الجيشين بين المعارك أي الفرنسي والجزائري، فالأول علق نصره على قانون الفعل الإنساني من خلال الجند المدرب والأسلحة الفتاكة وأساليب القتال المتطورة بفضل استخدام العقل وبذل الجهد في العمل، وجيش آخر يعلق نصره على قانون الفعل الغيبي من خلال استعمال الحروز. وهو ماسنوكده من خلال العنصر الموالي وهو مظاهر قوة الحملة الفرنسية.

ب- مظاهر تفوق الحملة الفرنسية على الجزائر:

ان مستوى التقدم الذي شهدته أوروبا اثر على جميع مجالاتها ، اذ أنها تعيش انفتاح الفكر الأوروبي وهو ما سمي بالنهضة الأوروبية وقد رافق ذلك التحول العقلي تطور علمي أثر على جيشه وصناعته وآلاته ووسائله، وكل الأدوات المستخدمة في القتال من وسائل ونقل وسلاح وذخائر حربية وآلات هجوم دفاع واقتحام ومراقبة وغيرها، ووصل الذكاء العسكري للجيش الفرنسي في استغلال الظروف، ومن هنا يأتي السؤال ليكتمل مفهومنا لأسباب الهزيمة التي لحقت بالجزائريين والانتصار الذي حققه الفرنسيين، هل أثر التقدم العلمي والصناعي على موازين كفة النصر في معركة أسطه والي؟ هل مستوى التقدم العلمي ساهم في اختلال موازين القوى بين الجيشان؟ ويتأكد لنا للإجابة أن تطور العتاد العسكري للجيش الفرنسي الذي استقدم في الحملة من سفن حديدية، وسلاح المدفعية الميدانية، وتعتبر المنعرج في تطور أوروبا، وكل هذا التطور قد رافق التطور العلمي الذي شهدته أوروبا، ومن ناحية أخرى فإن هذا كان غريبا عن المسلمين غرابة الطباعة. (حماش، د.ت، صفحة 42).

استخدم قائد الحملة العسكرية دي بورمون التاريخ للتفوق على الجزائر وذلك بدراسة تاريخها العسكري وتجاربها طوال العهد العثماني مع الدول الأوروبية، وبذلك تجنب الأخطاء السابقة من أجل رفع القدرة العسكرية للحملة، وضمان نجاحها في تحقيق هدفها بإحتلال مدينة الجزائر. وقد طلب دوبرمون من سفير مدريد عاصمة اسبانيا للبحث في الأرشفة الاسباني بالأسكوبال عن سبب فشل حملاتهم العسكرية على الجزائر.

استخدام الاعلام العسكري وذلك بكتاب عنوانه "وصف تاريخي واحصائي طوبوغرافي لفائدة الحملة الإفريقية" ويحمله ويطلع عليه كل من في الحملة. وهي المرحلة التي اهتم فيها العسكريون بتاريخ الجزائر ووصفها سعد الله بعهد المؤرخين العسكريين.

كما زودت الحملة أيضا بالأطباء والجراحين والصيدادلة، ومثال ذلك الضابط الدكتور كاسبار رو Caspard Roux (1780-1839) الذي عين قائدا عاما لهذه الفرقة وكان من أنجب الطلبة من مدرسة الطب في باريس، تحصل على درجة الدكتوراه عام 1802 رسالة مرض الحصبة، بلغ حجمها 211 صفحة.

وبذلك يتأكد لنا الطرح المنهجي لدراسة الحملة الفرنسية وهو أن القوة والتفوق الفرنسي كان بتحضير مسبق، وقد وظفت فرنسا التاريخ لدراسة أسباب فشل حملاتها لتجنب الاخطاء التي وقع فيها قادتها، والإطلاع على الصعوبات والتحديات. إذ درس القادة العسكريين الفرنسيين أسباب فشل حملاتها وتجاربها طوال العهد العثماني، وذلك لضمان نجاح حملتها لاحتلال الجزائر وقد طلب دوبرمون من سفير مدريد عاصمة اسبانيا البحث في الأرشيف الاسباني بالأسكوبال عن سبب فشل حملاتهم العسكرية (حماش، د.ت، صفحة 11).

وهو ما جعل الكونت دوبرمون (جنرال فرنسي بجيش بونابرت عينه شارل العاشر وزيرا للحربية، قاد الحملة الفرنسية على الجزائر)، يبعث للملك شارل العاشر ان يطلب من سفيره في اسبانيا البحث في الارشيف عن وقائع المعارك وفشلها وارد ان هناك أخطاء بشرية فليست العوامل الطبيعية وحدها السبب ونجد استخدام في حملتهم الاعلام العسكري الذي هدف الى تعريف الضباط والجنود وكل رجال الحملة بالجزائر من الجغرافيين والسياسين والعسكريين..... حضر كتاب بعنوان وصف تاريخي واحصائي طوبوغرافي لفائدة الحملة الافريقية (حماش، د.ت، صفحة 30).

ومن ناحية أخرى نذكر بالجمود في تطوير السفن، إذ لم تشهد أي تطوير إذ نجد الطرف الفرنسي قد استخدم الحديد في السفن (حماش، د.ت، صفحة 31)، وهو ما كان غريبا عن المسلمين غرابة الطباعة، وقد سجلت عن المدافع ذلك التطور، ووضع خليفة حماش وصف حالة المدفعية من الكتاب الاعلامي الذي وزع للجنود الفرنسيين، فذكر

بأن: "... حظيرة المدفعية الميدانية الجزائرية كان بها نحو 40 مدفعا، ولكن نصفها غير صالح للاستخدام ووضع نحو 15 منها أسرة اسبانية قديمة، في حين: «...ان مدافعنا المتحركة الحديثة الطراز، قد أعطتنا تفوقا كبيرا على العدو، وفاجأته في كل العمليات العسكرية التي واكبت الحملة، اذا لم يكن لديه أي العدو، وما يواجهنا به سوى المدفعية الثابتة، اضافة الى استعمال البنادق ذات الحراب وهي سلاح هجومي بنفاز الذخيرة الجزائرية يمكن استخدامه...» (حماش، د.ت، صفحة 32).

الاستخدام الاستخباراتي واشهرها على الاطلاق هي تلك التي قام بها بوتان بأمر من نابليون بونابرت 1808، متظاهرا باصطياد السمك إلا انه كان يقيس عمق البحر وحدد نقطة الانزال في سيدي فرج، وهو ما نفذ فعلا في 1830 حسب تقارير بوتان، وكلها تؤكد ذلك التخطيط العلمي والدقيق لاحتلال، ايضا بالنسبة الجيوش فإنها منظمة أما الجيش الجزائري فلم يرد عنه الا الهجوم الجماعي الغير منظم وهو كما وصفه الزهار: "...جهل شيوخ القبائل الجزائرية الذين تصدروا الحرب ضد الفرنسيين كانوا يجهلون، وكانوا لا يفرقون بين المائة والألف مما جعله يشبههم في ذلك..." (حماش، د.ت، صفحة 40).

دعمت فرنسا حملتها العسكرية بنداء جاء بعنوان «...هذه مناداة من سار عسكر أمير الجيوش الفرنسية إلى سكان الجزائر أهالي القبائل...»، وزع عن طريق الفنصل الفرنسي بتونس السيد "ماتيو دي ليسيس"، ووصل الجزائر عن المخابرات الفرنسية، وعن طريق التجار اليهود بإسبانيا، شرع في توزيعه منذ نزول الحملة بسيدي فرج 18 جوان، أعده المستشرق الفرنسي كلير مون تونير الذي بث داخل الشعب الجزائري، وكان الهدف منها التأثير على عقول الرعايا الجزائريين وتفريق وحدتهم وهو ما أشارت له الكتابات التاريخية الجزائرية، ويذكر أنها حدث من مقاومتهم للفرنسيين الذي أهانه الداوي حسين، ولتخليصهم من هذا الطاغية المستبد الذي يحكمهم ويستغل خيرات البلاد لمصلحته الخاصة ونجد ذلك التعهد الذي قدمته فرنسا بحماية حقوقهم وممتلكاتهم وحرّياتهم وتخليصهم من هذا الطاغية. ويؤكد أبو القاسم سعد الله: «... فكان البيان قوة اعلامية ودعائية مساعدة تعمل على اضعاف معنويات الجزائريين، وبالتالي التخلي عن مساعدة الداوي، لان المنشور كان يحمل ادعاءات بأن الفرنسيين جاءوا لينتقموا من الداوي وحده

ولتحرير الجزائريين من ظلم واستبداد العثمانيين.....» (سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، 1996، الصفحات 271-280، ج1).

3. شخصية الداي حسين من خلال الكتابات التاريخية الجزائرية:

ربطت بعض الكتابات التاريخية فشل الجزائر للداي حسين وهو آخر شخصيات الحكم بالجزائر، وتدخل بعدها مباشرة مرحلة الاستعمار. (حماش، دت، الصفحات 135-136)، ووقعت هذه الشخصية عند المؤرخين بين المتهم والمتعاطف. ان ذكر الزهار لهذه الشخصية تناقضت في الطرح حيث قدمه في أحسن صورة وجاء في قوله كالآتي: "... وكان حسن باشا وزير ثالثا يكنى بخوجة الخيل، وكان رجلا عاقلا متدينا، وفي أول أمره كان بعض وزرائه يتصرفون.... وهنا وقع من فساد وظلم فهو منهم...." (الزهار، 1980، صفحة 08).

ونجد الشريف الزهار انتقد الداي حسين وسياسته بشكل غريب جدا حتى أنه استعمل ألفاظا عبرت عن استيائه من سياسة الداي حسين، ويرجع تجاوزاته أيضا الى السماح بالمواساة للجند والاندكشارية لإقامة العلاقات الغير شرعية حيث أورد قائلا: "... ان أول أعماله الخسيسة أنه سمح لبني جنسه بالزنا وهو ما هدمه قبله..." (الزهار، 1980، صفحة 167).

وتفسر عائشة غطاس بخصوص تناقض طرحه: "... لم يستطيع التمييز بين موقعه كإخباري.... وكنقيب لأشراف الجزائر، فهو ناظم على بعض الحكام وتارة معجب بهم...." (غطاس، 2007، صفحة 87).

ويضيف الزهار أنه من بين المواقف التي اثبتت فشل الداي حسين هو تعنته في المفاوضات ناقدا اياه واتهمه بفشلها "... فاشتد غضب الباشا ونفخ فيه الشيطان، وأخذ العجب والكبر وظن انه لا يغلبه أحد وقال لا نجعل الصلح بيني وبينكم فضلا أن أعطيكم رجلا من عندي.... وقد وقع للناس حزن كبير من ذلك وأهل المعرفة قالوا الآن أخذنا...." (الزهار، 1980، صفحة 166).

ونعود للمفارقة في الطرح بكلام جميل، وقد قال: "... حسين باشا آخر ملوك الترك بالجزائر قد كان سوي النفس لا يتزعزع إلا لعظائم الأمور ولا يتضعضع لنوائب الدهر، وأما سيرته في أهل البلد وأهل مملكته قد سار في أهل البلد وأهل مملكته سيرة حسنة لم

يسرها من تقدمه من لين الجانب وسهولة المجاب والعفو.... وكان تقيا محبا للصالحين ولمن انتسب اليهم حتى أنه كان يغتر بأهل البدع فيحسن إعتقاده فيهم ويكرمهم....." (الزهار، 1980، صفحة 166).

في حين أن حمدان خوجة نظر الى الداوي حسين بنظرة مخالفة تماما للزهار وكان لأصوله ومنصبه دور في ذلك وخصوصا في مواقفه تجاه الداوي حيث قال عنه: ".... وحسين داوي هو آخر داوي تركي في الجزائر وينتهي هذا الرجل الفاضل الى اسره كريمة كما يتمتع بثقافة واسعة وقد خدم الإيالة أكثر من ثلاثين سنة...." (بن عثمان، د.ت، صفحة 12).

وفي حديثه عن علاقاته مع فرنسا فقد أكد خوجة عن التزامه بكل المعاهدات وعدم نقضه اياها للرد على الطرف الفرنسي الذي ادعى ذلك وجاء كلامه على النحو التالي ونذكر ان خوجة حمدان كتب كتابه بعد الاحتلال

".... ووفائوه فيما يخص بالالتزامات معروف في كامل أنحاء أوروبا، ولما أنه لا يوجد بلاط واحد اشتكى من حسين باشا قد خرق المعاهدات التي ابرمتها سواء مع القوي أو مع الضعيف...."، وفي سياق الحديث عن المروحة فقد أكد التخطيط المسبق من القنصل دوفال، ووضح أن اسباب الحرب تعود للحاشية والأعوان الذين كانوا يحيطون به، بالإضافة الى الحظ الذي خانته بما أنه كان آخر حكام العهد العثماني بالجزائر، ".....أما عن الحرب المشؤومة التي أجبرته على ترك الحكم فسنرى أن الحظ خانته بسبب أخطاءه وكلائه والمليشيا كما أن حاشيته كانت تشمل على الكثير من الأشخاص ممن ليس لهم مبادئ ولا تجربة ولا شجاعة...." (بن عثمان، د.ت، صفحة 14).

ونجد الحفناوي في ناحية أخرى يوضح موقفه من الداوي والإحتلال ويصف موقف الداوي بالسلب والتصلب الذي أبداه تجاه قضية الديون، وضربه القنصل دوفال جراء التلاعبات التي ظهرت من خلال قضية الديون الجزائرية، التي كانت فرنسا مدانة بها وفي ظل هذه الظروف المضطربة. ورغم الوساطة التي قدمها محمد على باشا، وقد عارض الباب العالي تدخله واعتبر محاولته هي حمل الداوي حسين للانصياع الى طرق السلم من غير داع الى الحرب أو الغزو. (سكفالي، 2009-2010، صفحة 05).

حين الخوض في مسألة احتلال الجزائر وشخصية الداوي، نجد أن الكتابات التاريخية للفترة وجهت أصابع الاتهام لشخص الداوي حسين، وهنا يؤكد ابو القاسم سعد الله: "....في حكمه على هذه الشخصية وخصوصا في جانب التصرف في النفي الذي تساءل

خلاله عن مكان النفي وقال لماذا لم يختر مسقط رأسه أزمير، هل يخشى غضب السلطان عليه؟ هل يشعر بالأمن على حياته في أوروبا أكثر من الشعور بال:أمن في بلد اسلامي؟هل كان يأمل في استعادة حكمه؟ ربما وماذا نتوقع من حاكم باع ارضا وشعبا فأصبح لاجئا؟ ومن غريب الأقدار أن هذا الباشا قد مات في الاسكندرية ولم يجد سوى بلد اسلامي يلفظ أنفاسه الأخيرة (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1998، الصفحات 36-40، ج3).

في حين تجيب كتابات تاريخية على ذلك أن استمرار وجود الداوي حسين بهذه المدينة واختيارها لمدة ثلاث سنوات بين نيس- نابولي- ليفرون، وزيارته لباريس من 4 أوت 1831- 19 أكتوبر 1831، لاستقبال الملك الذي رفض ذلك، وكلها جهود منه لمحاولة استرجاع الجزائر وتذكير فرنسا بوعودها. وبمجرد إكتشاف فرنسا ذلك ضغطت على إيطاليا لطرده وكانت وجهته الاسكندرية التي توفي بها (الجيلالي، 1990، صفحة 234، ج3). أن تسليط التهم على شخصية واحدة فيه مبالغة من ناحية، وأن الطرح في الاسباب التي سهلت الاحتلال أيضا لم توضع في ميزان حقيقي يعي الوضع الذي آلت إليه البلاد الاسلامية تحت قيادة الخلافة العثمانية المترامية الأطراف ومن بينها الجزائر، هنا فعلا يمكن وضع النقاط الحقيقية، وربط الأوضاع في أوروبا التي تشهد تطورا في حين العالم الاسلامي يعيش غطرسة الجهل وعدم تقبل أي تغيير لمواكبة العصر. مايمكننا من رفع الاتهام على هذه الشخصية بل طرح اسباب واضحة وتعرضها للنقد والدراسة.

وفي ذلك يؤكد جمال قنان أن جميع المؤرخين عند تناولهم للموضوع: "...تعودوا على ادراج مسألتي الدين لبكري على الخزينة الفرنسية وقضية المروحة في مقدمة الأسباب التي أدت الى نشوب هذه الأزمة، فإننا نعتقد أن هذا السؤال هو نوع من التبسيط لمسألة معقدة ذات أوجه عدة، تعتمد الجانب الفرنسي اسدال الستار عن الأسباب الحقيقية لما فيها من إدانة بالنسبة اليه، ولقد نجح في ذلك الى حد الآن....." (قنان، 2009، صفحة 20).

وكتأكيد من قنان فإن الاستعمار عمد على سياسة التشويه والطمس لهذه الفترة بالذات 1830، وبالتالي اعفاء نفسها من كل اتهامات، وتدعيم جهودها التي تعمدتها في الجزائر الى حين خروجها، ويوجه الاتهام لفرنسا التي إنكأت دبلوماسيتها على قنصلها دوفال في التحرك وبعدها طرح الموضوع على السلطات الجزائرية بكيفية تخدم مصالحها ثم القرار إما بتصعيدها او حلها وفق مايخدم مصالحها (قنان، 2009، صفحة 62).

ومن ناحية اخرى يؤكد التزام الجزائر بالمعاهدات بين الطرفين وان كل الادعاءات التي طرحتها فرنسا أو بالأحرى ماسمته بالاعتداءات على السفن التجارية الفرنسية، هو مجرد قيام البحارة الجزائريين بتفتيش المتعود وفقا لما نصت عليه المعاهدات السياسية القائمة بين البلدين والذي يجري به العمل منذ أكثر من قرنين (قنان، 2009، صفحة 64). وفي خاتمة للطرح نضيف ما جاء به خليفة حماش غياب آلة الطباعة في العالم الاسلامي المتمثل في الدولة العثمانية ومنها الجزائر والذي يمكن القول أنه اثر على مواكبة التطور العلمي الذي عاشه العالم آنذاك.

وهو ما يأخذنا في خاتمة لما تطرقنا له في هذا المقال أنه:

إن الظاهر في معركة اسطوالي واحتلال الجزائري حسب الطرح الذي قدمه المؤرخين الجزائريين في تناول الاسباب والنتائج، يتضح أن الرؤية كانت سطحية رغم ثقافة بعضهم الا انهم لم يتناولوا ذلك في طرحهم لأسباب الاحتلال الفعلية ولا نبرر الفعل الفرنسي، الا ان الاحتلال كان بين دولتين ومثل مجتمعين اختلفا في المستوى والظروف، لم تكن بين عالمين فقط أحدهما نصراني والآخر إسلامي أو بين الداوي حسين ودوبرمون انما نقف موقف المعتبر من الاوضاع التي آلت الى الدول الاسلامية ممثلة في الدولة العثمانية التي يمكن القول أن اخطاءها وقع فيها العالم الاسلامي. وهو ما حدد فعلا نتيجة المعركة فكانت الهزيمة من نصيب الجيش الذي ينتهي الى مجتمع متخلف والنصر من نصيب الى المجتمع المتقدم (حماش، د.ت، صفحة 45).

أما الاسباب التي قدمت في الكتابات الاسلامية المختلفة بداية من حمدان خوجة المرأة لتفسير الهزيمة التي لحقت الجيش الجزائري، هي في الواقع من مظاهر التخلف الذي كان يعانيه المجتمع العثماني كما كانت الاسباب التي قدمناها نحن هنا لتفسير انتصار الجيش الفرنسي من مظاهر التقدم في المجتمع الفرنسي (حماش، د.ت، صفحة 46).

إن هذه الفجوة العلمية ووضع التخلف سادت العالم الاسلامي المتسم بالفراغ العلمي والصناعي الذي كان سائدا في الفضاء العثماني وهو نفسه في العالم الاسلامي.

وبالتالي حين التطرق إلى الحقيقة التاريخية لابد أن تكون النظرة شاملة لجميع الأوضاع، ونستند لقول جمال قنان: "..... انا نعي كل الوعي كل كلمة نسجلها هنا أمام ضميرنا من ناحية وأمام الحقيقة التاريخية من ناحية أخرى، فالتاريخ ليس مادة تصنعها الأهواء كيفما اتفق اذا ما تزيد به الاستفادة والاعتبار وليس التهويل والتضليل كالذي

تعتمدته المدرسة التاريخية الفرنسية الاستعمارية..... فالمعرفة الزهية والموضوعية لماضيها ولتجارب الأجداد وجهودهم الايجابية أو السلبية، هذا التاريخ هو الذي نحن مطالبون لمعرفة ودراسته واستخلاص الغير منه، هذه المعرفة الموضوعية لماضيها تحجبنا عنه للاسف (قنان، 2009، صفحة 66).

وهوما يجب ان يسعى اليه المؤرخ الجزائري هو حجب التضليل على الحقائق التاريخية وطرحها بشكل موضوعي والسعي في البحث عن الاسباب المحيطة بالأحداث، والرقي بمستواه لمواكبة كل تطور يشهده العصر وبناء كتابته التاريخية بعيدا عن التزييف والتضليل والذاتية.

خاتمة:

عاشت الجزائر فترة استعمارية شرسة لم تشهدها الشعوب التي عانت من الاستعمار إذ تعرض لعملية مسخ مثلما شهدته الجزائر، وهو موقف وضعه حمدان بن عثمان خوجة الذي كان متأثرا بالحضارة الفرنسية وحث الدولة على التزود وتطوير الجانب العسكري الذي اصطلح عليه الانفتاح على العالم الاوروبي الذي أهره إلا ان نظرتة تغيرت بعد الممارسة التي شهدتها الجزائر ونقضها لوعودها وانحرافها عن هدفها وهي تخليص الشعب من الأتراك. فبعدها كان يرى فيها رمزا للحضارة والحرية أصبحت رمزا للتمييز والعنصرية وهضم حقوق الانسان والإنسانية.

يعبر كتابه المرأة عن حقيقة التجاوزات والهلع الذي اصابه بتغير الذي شهدته من فرنسا وتساءل عن ممارسة ضباطها هل هم بقوانين نابليون أم بقوانين الاقطاعية. وهل هناك دساتير وقوانين تجيز هذه الافعال، وهل الشرف الفرنسي يرضى بذلك. وبذلك يكون حمدان بن عثمان خوجة مثل الفترة حقيقة وترك الاثر الذي يؤرخ لها ولو أنه له بعض المآخذ الا ان العالم الاسلامي ككل عاشى فترة اثرت على الجميع.

يتأكد لنا أن الجزائر اصابها ضعف بداية القرن التاسع عشر 19م، ساهم في ذلك ظروف داخلية وخارجية تناولتها المصادر التاريخية التي أكدت الضعف الذي سهل الاحتلال وهو ما عجل بنهاية الحكم العثماني بها بصفة مفاجئة وغير متوقعة، ولا يمكن ارجاع الاسباب الى شخص الداى حسين كقيادة عامة او الأوضاع الاخرى إنما التخلف كان

مشاركين بين كل دول العالم الاسلامي وعدم مواكبته للأحداث العالم من تطورات وخصوصا ذلك الذي حدث بأوروبا والأخذ بالظروف والدواعي التي جعلتها تتحكم في العالم الاسلامي.

مثلت الكتابات الأولى كتجارب لبناء الكتابة التاريخية ومثل حمدان خوجة شخصية سياسية تصدرت المشهد وغلب على كتاباته الطابع السياسي بروح معاصرة، حيث خاطب الجزائريين والباب العالي لوضعهم عند مسؤولياتهم وتدارك ما يمكن انقاذه، وخاطب في ناحية أخرى الفرنسيين بلغة الضمير والعقل والحضارة والعدالة للتراجع عن عدوانهم وظلمهم، في حين غابت بعض الوسائل لبناء كتابته التاريخية في الطرح والمنهج والمقارنة.

وما نشير اليه ان المحاولات الأولى لكتابات الجزائريين للفترة الأولى من الاستعمار والمواقف منه، تعد فترة حرجة حاول فيها هؤلاء المحافظة لتاريخهم وتدينهم وعبرت عن تصوراتهم وآراءهم ولو انه أخذ عليها انها لم تكن بالطابع الأكاديمي الا انها أوصلت اخبار الفترة، ونشير أن هذه الكتابات هوجمت من طرف فرنسا وذلك لتغليب سياسية التمدية والتشويه في حين انها اعتمدت عليها لكتابة تاريخ الجزائر اقتدات حملة لجمع المخطوطات من الاهالي والقبائل على اختلافها.

بيوغرافية الاعلام:

(نابليون بوناپرت، 1769-1821 Napoléon Bonaparte)، (كان قائد عسكري وسياسي، امبراطور فرنسا وملك لاطاليا، قاد العديد من الحملات الناجحة ضد التحالف الأول والتحالف الثاني أيام الثورة الفرنسية في 1798 نظم حملة عسكرية على مصر، وحاول السيطرة على أوروبا والعالم لحد الهزيمة ودخول الحلفاء بقيادة روسيا وبروسيا وبريطانيا 1814 باريس، نفي الى جزيرة ألبا، ولما رجع لفرنسا سنة 1815 وحكم فترة بسيطة وانهزم في معركة واترلو، ثم نفي الى جزيرة سانت هيلينا لغاية موته سنة 1821) (عبد الفتاح، 2014، صفحة 20)

بوتان(من مواليد 1 جانفي 1772 قرب نانت من طبقة برجوازية، شارك في الثورة الفرنسية الكبرى، عمل في الجيش الى جانب نابليون بوناپرت وشاركه في الحروب النابوليونية ، كان سفيرا في الباب العالي، ثم اختاره للقمام بزيارة تجسسية لجمع معلومات

دقيقة ووضع خطة لاحتلال الجزائر) (سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال)، 1982، الصفحات 20-21).

القنصل دوفال (ابن الكاتب والمترجم الأول للحكومة الفرنسية بإسطنبول كان طالبا بمدرسة اللغات سنة 1774م، وعمل رئيس بغداد من 1786-1794م، وهب الفترة التي عزل فيها من طرف لجنة العلاقات الخارجية، وفي سنة 1815، عين قنصلا بالجزائر) (فتيسي، 2017-2018، صفحة 505).

الكونت دوبرمون (جنرال فرنسي بجيش بونابرت عينه شارل العاشر وزيرا للحربية، قاد الحملة الفرنسية على الجزائر)

للدائي حسين (آخر دايات الجزائر، ولد في قرية فرلة vurla قرب أزمير تركيا 1769، نشأ في الأستانة، كان أوه ضابطا في دفعيو السلطنة، زاول دراسته في مدرسة خاصة كجندي ثم من رجال المدفعية، ترقى الى خودة خيل عهد الداي "عمر باشا 1815-1818 ثم نصب كأمين للإيالة وأعطاه ادارة كل أملاك الدولة واكتسب ثقة الداي علي خوجة 1817-1818، ثم أصبح عضوا في الديوان (الجيلالي، 1990، صفحة 331).

كلير مون تونير : عضو القيادة العامة الذي كان يعرف اللغة العربية وترجمه إلى اللهجة العامية الجزائرية المستشرق الفرنسي "دي ساسي" قبل طبعه باحدى مطابع "أنقولام1" بفرنسا" (زوزو، 2010، صفحة 14).

القنصل دوفال (ابن الكاتب والمترجم الأول للحكومة الفرنسية بإسطنبول كان طالبا بمدرسة اللغات سنة 1774، وعمل رئيس المترجم في صيدا سنة 1779، ثم في حلب والاسكندرية، ثم قنصلا في بغداد من 1786-1794، وهي الفترة التي عزل فيها من طرف لجنة العلاقات الخارجية، وفي سنة 1815، عين قنصلا بالجزائر خلفا لديوانتفيل) (فتيسي، 2017-2018، صفحة 505).

قائمة المراجع:

الحفناوي، أبو القاسم محمد، (2012). تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق: خير الدين شره، الجزائر: دار كردادة.

الجيلالي، عبد الرحمن، (1990)، تاريخ الجزائر العام، ط7، بيروت: دار الغرب الاسلامي.

I 5121\ BIBLIOGRAPHY

سعد الله، أبو القاسم، (1982)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

سعد الله، أبو القاسم، (1996)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، الجزائر: دار الغرب الإسلامي.

سعد الله، أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي. الجزائر: دار الغرب الإسلامي.

الزهار، أحمد الشريف، (1980)، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر. تحقيق: أحمد توفيق المدني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

باي، أحمد، (د.ت)، مذكرات أحمد. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

المزاري، الأغا بن عودة، (1990)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تحقيق: يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الاسلامي.

قنان، جمال، (2009)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. منشورات وزارة المجاهدين.

حماش، خليفة، (د.ت)، قراءة في اسباب انهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة اسطوالي، مجلة المعالم.

بن عثمان، خوجة حمدان، (د.ت)، المرأة. تحقيق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

بفاير، سيمون، (2009)، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال. ترجمة: دودو أبو العيد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

- عطاس، عائشة، (2007)، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700-1800، مقارنة اجتماعية اقتصادية. الروبية: المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار.
- زوزو، عبد الحميد، (2010)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، الجزائر.
- عبد الفتاح، عصام، (2014)، أيام محمد علي، حكاية رجل سبق عصره، عبقرية الإرادة وصناعة التاريخ. مصر: الشريف ماس للنشر والتوزيع.
- هلال، عمار، (1995)، أبحاث وآراء ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الطبي، محمد، (2009)، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي (دراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات)، الجزائر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع.
- سكفالي، مفيدة، (2009-2010)، يوميات الشيخ العلامة الحفناوي بديار (رسالة ماجستير)، تحقيق: القسم الخاص بالأمير عبد القادر.
- نايت بلقاسم، مولود قاسم، (2007)، شخصية الجزائر الدولية وهيبته العالمية قبل سنة 1830، دار الأمة.
- فتيسي، نادية، (2017-2018)، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا الى غاية عهد حسين باشا (1766-1830 م _ 1245-1246)، الاوضاع السياسية والاقتصادية نموذجا (رسالة دكتوراه)، الجزائر: جامعة قلمة.
- بوعزيز، يحي، (1965)، الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- d Angeville, A. (1838). Essai Sur la Statistique de la population Française. Paris: BOURG Imprimerie de Fred dupour.